

وسائل الدعوة الإسلامية في عصر الدولة الأيوبية

ISLAMIC DA'WA MEANS IN THE AYYUBID ERA

Abdullah Almansori	عبد الله المنصوري⁽¹⁾
College of da'wa and fundamentals of religion -umm al-Qura University - Makkah- Saudi	كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - السعودية
abdullah1971m@gmail.com	

تاريخ النشر:	تاريخ القبول:	تاريخ الاستلام:
2021/06/30	2021/06/29	2021/05/09

الملخص:

يهدف هذا البحث الموسوم بـ (وسائل الدعوة الإسلامية في العصر الأيوبي) إلى التعريف بالوسائل الدعوية في عصر الدولة الأيوبية. بيان تنوع هذه الوسائل، وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى، وقد استعمل الباحث المنهج الوصفي والتحليلي والتاريخي، وخرج البحث بجملته من النتائج أهمها: غني سلاطين بني أيوب بالعلم والعلماء، وأولوا الدعوة الإسلامية عناية خاصة، فكان لها أثرها في القضاء على الدولة الفاطمية، ومقاومة الحملات الصليبية الشرسة، وتنوعت وسائل الدعوة في العصر الأيوبي: فشملت المساجد والمدارس والخطابة والحسبة والأوقاف وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الوسائل، الدعوة الإسلامية، عصر الأيوبيين.

Abstract:

This research entitled (Islamic da'wa means in the Ayyubid era) aims to introduce the means of advocacy in the era of the Ayyubid state, to show the diversity of these means and their impact on the call to God Almighty. The Sultans of Bani Ayyub with knowledge and scholars, and they paid special attention to the Islamic call, which had its effect on eliminating the Fatimid state and resisting the fierce

(1) المؤلف المرسل: عبد الله المنصوري - الإيميل: abdullah1971m@gmail.com

Crusades, and the means of advocacy varied in the Ayyubid era. It included mosques, schools, public speaking, Hisbah, endowments, and others.

Key Words: the means, the Islamic mission, the Ayyubid era.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد: فإن الدولة الأيوبية (567 هـ - 648 هـ) تعد من أنصع صفحات التاريخ الإسلامي، ورغم قصر مدة هذه الدولة نسبياً؛ حيث أحدثت تغييرات جذرية؛ علمية، ودعوية، اقتصادية، واجتماعية، وسياسية، وعسكرية، وحضارية، وامتدت لتظلل بجاحها مصر والشام والحجاز واليمن وبلاد النوبة، وبعض أجزاء المغرب العربي، ومن أهم الجوانب الحضارية التي برزت خلال حكم الأيوبيين تلك الحركة الفكرية والعلمية والدعوية التي نشطت في هذه الفترة، وظهور جهابذة من أهل العلم في شتى الفنون، ف"للدول في طي العلوم ونشرها وإظهارها تأثيرات معجزة في تمكينات موجزة"⁽¹⁾.

ولما كان لهذه الدولة ذلك التأثير العظيم وبخاصة في نشر الدعوة الإسلامية، ومجابهة المد الصليبي والقضاء على انحرافات الفاطميين، أحببت أن أكتب عن وسائل الدعوة في هذا العصر الفريد، وجعلت عنوان هذا البحث: (وسائل الدعوة الإسلامية في العصر الأيوبي).

ودراسة هذا الموضوع تكتسب أهمية كبيرة؛ من حيث إنه لم يدرس من قبل، إضافة إلى ذلك السمة العلمية والدعوية لهذا العصر والنهوض الحضاري المتسارع، كما أن هذا البحث سوف يتناول الموضوع من خلال أهم المصادر التي ألفت في تلك الفترة وأرخت لزمن الأيوبيين.

أهداف البحث:

يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

1. بيان مفهوم الوسائل الدعوية في اللغة والاصطلاح.
2. تقديم نبذة موجزة عن الدولة الأيوبية.
3. الكشف عن الوسائل الدعوية في عصر الدولة الأيوبية.
4. بيان تنوع هذه الوسائل، وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى.

منهج البحث:

سوف يستعمل الباحث المنهج الوصفي والتحليلي والتاريخي، بحسب ما تفرضه القضايا البحثية التي سيتناولها هذا البحث.

الدراسات السابقة:

هذا الموضوع لم يدرس من قبل بحسب التقصي في المواقع الإلكترونية وقواعد المعلومات، فقد أعمل الباحث جهده في التنقيب عن دراسة أو بحث علمي في هذا الموضوع فلم يتيسر له الوقوف على شيء في هذا الباب.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين، وخاتمة.

■ المقدمة وفيها: أهمية البحث، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

■ المبحث الأول: الإطار النظري للبحث.

■ المبحث الثاني: وسائل الدعوة في العصر الأيوبي.

المبحث الأول: الإطار النظري للبحث:

في هذا المبحث سيتم التعريف بمفردات عنوان البحث، كالاتي:

أولاً: تعريف وسائل الدعوة في اللغة والاصطلاح:

وسائل الدعوة مركب إضافي؛ مكون من مضاف، وهو: (وسائل)، ومضاف إليه، وهو: (الدعوة)، وللوصول لتعريف إجرائي واضح لوسائل الدعوة لابد من تعريف جزئي المركب الإضافي كل على حده، فيما يأتي:

تعريف الوسيلة في اللغة:

الوسيلة جمعها وسائل، مأخوذة من (وَسَلَ)، ومن معانيه: الرغبة والطلب، يقال: وَسَلَ إذا رَغِبَ، والوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير⁽²⁾، والوسيلة القربة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيَّ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 35]، والوسيلة المنزل، ومنها قوله ﷺ: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فإنه من صلى

عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة⁽³⁾.

تعريف وسائل الدعوة في الاصطلاح:

تعددت تعاريف وسائل الدعوة، ومنها:

فقليل هي الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته⁽⁴⁾.

وقيل: هي ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور مادية أو معنوية⁽⁵⁾.

فالوسائل الدعوية هي: كل ما يستعمله الداعية من الطرق لتبليغ الناس الإسلام، وتعليمهم إياه، وتطبيقه في واقعهم وحياتهم.

ثانياً: تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح:

الدعوة في اللغة:

مصدر (دَعَا) يدعو دعوةً ودعاءً، وقد دعا فهو داعٍ، والجمع: دُعَاة، والدعوة: الطلب والمناداة، يقال: دعا بالشيء، أي: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء، أي: حثَّ على قصده، والدعوة النداء، ومنه: ودعا فلاناً، أي: صاح به وناداه، والدعوة السُّوق، يقال: دعاه إلى الأمير، أي: ساقه إليه، ويقال: دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى القتال، ودعاه إلى المذهب، بمعنى: حثَّه على اعتقاده، وساقه إليه، وتَدَاعَى القوم، أي: دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا⁽⁶⁾.

الدعوة في الاصطلاح:

هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله؛ بتصدقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه⁽⁷⁾.

أوهي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنيّة المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق⁽⁸⁾.

وفي ضوء ما تقدم يمكن تعريف الدعوة بأنها: نشر وتبليغ الدين الإسلامي وتعاليمه، في ضوء أسس ومعارف علمية ومنهجية، بالبصيرة الواضحة والبلاغ المبين، مصداق قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

ثالثاً: تعريف العصر في اللغة والاصطلاح:

العصر في اللغة: له ثلاث معانٍ: الدهر والحين، والثاني: ضغط شيء حتى يتحلب، والثالث تعلق بشيء وامتساک به، فالأول العصر، وهو الدهر قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِذْ الْإِنْسَنَ لِنَفْسِهِ ۝٢﴾ [العصر: 1، 2]، وربما قالوا عصرًا⁽⁹⁾. وعاصره: عاش معه في عصر واحد، أي: في زمن واحد⁽¹⁰⁾، والعصر: الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشمس، والعصران الدهر⁽¹¹⁾.

تعريف العصر الاصطلاح:

مرحلة زمنية تُنسب إلى ملك أو دولة، أو إلى تطورات اجتماعية أو علمية، أو هو الزمن الذي ينسب إلى ملك أو دولة⁽¹²⁾.

رابعاً: الأيوبيون:

نسبة إلى أيوب بن شاذي، الملقب بالملك الأفضل نجم الدين، والد صلاح الدين يوسف الأيوبي، وينتمون إلى بلدة دوين⁽¹³⁾، وهم أكراد روادية، وهي قبيلة كبيرة من أشراف الأكراد⁽¹⁴⁾.

فالأيوبيون أكراد في نسبهم، وعرب مسلمون بثقافتهم وتربيتهم ونشأتهم، فقد نشأوا نشأة عربية إسلامية، وامتزجوا بها، وشغفوا حباً باللغة العربية وآدابها وعلومها.

والعصر الأيوبي في هذا البحث: هو الفترة الممتدة من بداية تأسيس الدولة الأيوبية في العام 567هـ، الموافق 1171م، على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي، إلى سقوط الدولة في العام 648هـ، الموافق 1250م، والممتدة نحو واحد وثمانين عاماً.

ويعتبر العصر الأيوبي من عصور الإسلام الزاهية حيث كانت فترته زاخرة بالعلوم والمعارف، وشهدت نهضة علمية، وثقافية، وأدبية، كانت حافلة بالأحداث العظيمة، وقد عاصر الأيوبيون الحروب الصليبية على بلاد المسلمين، "الواقعة في الفترة الممتدة بين 488هـ حتى 690هـ، الموافق 1095 حتى 1291م"⁽¹⁵⁾. فسجلت هذه الحقبة من الزمن جهاداً ضد الصليبيين ومداخلة للفاطميين.

المبحث الثاني: وسائل الدعوة في العصر الأيوبي:

تعددت وسائل الدعوة إلى الله في عصر الدولة الأيوبية، ويمكن عرض أهمها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المساجد:

المساجد هي بيوت الله تعالى، ومأوى أفئدة المؤمنين، وهي أبرز معالم الإسلام، وموطن الدعوة ووسيلتها الأولى، وأبرز المؤسسات التي تحفظ للأمة الإسلامية تاريخها الماضي، وتربطه بواقعها الحاضر، ومستقبلها الآتي، وقد كان أول عمل ابتدأه رسول الله ﷺ عند الهجرة للمدينة هو بناء المسجد⁽¹⁶⁾، ووظيفة المسجد في الإسلام واضحة بينة، ورواها صفتهم ظاهرة، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [النور: 36، 37].

وقد أولى الأيوبيون المساجد وعمارتها اهتماماً بالغاً، وعناية فائقة، فكثرت بناء المساجد في جميع حواضر دولة بني أيوب، ففي دمشق "انتشرت المساجد بها بشكل كبير، وأصبحت تعج بالمصلين والمتعبدین، وتكفل الوقف بإعمار بعض المساجد وإيصال الماء إليها، كما تولى نفقات طلاب العلم الذين يتدارسون العلوم الدينية والمعارف والآداب"⁽¹⁷⁾.

وعندما زار صلاح الدين الأيوبي (ت588هـ) الإسكندرية أمر بإنشاء مسجدها الجامع الكبير، ونقل الخطبة إليه، ثم تبع ذلك بناء عدد كبير من المساجد بالإضافة إلى ما كان فيها من مساجد من قبل، وقد بلغ عدد المساجد في هذه الفترة رقماً عالياً، وعندما زارها الرحالة ابن جبیر الكتاني الأندلسي (ت614هـ) تعجب من كثرة مساجدها، فقال: "وهي أكثر بلاد الله مساجد"⁽¹⁸⁾، وكذلك الرحالة أبو الحسن الهروي (ت611هـ) عندما زارها قال: "وبها من المساجد والمعابد ما لا رأيت به بغيرها"⁽¹⁹⁾.

ورتب صلاح الدين الأيوبي "في المسجد الأقصى من يقوم بوظائف الخطبة والإمامة، ورتب في قبة الصخرة إماماً حسناً، ووقف عليها داراً وأرضاً وبستاناً، وحمل إليها وإلى المحراب والمسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات منصوبة على الكراسي، ورتب القومة

والمؤذنين، وجدّد بهما شعار الدين⁽²⁰⁾.

وكانت المساجد شعلة من النشاط العلمي الذي أثرى الدعوة الإسلامية في العصر الأيوبي، وعبرها ثبتت دعائم منهج أهل السنة، ونشرت قيم الإسلام ومحاسنه، وكانت "أهم وسائل إصلاح الفرد والمجتمع المسلم من خلال ما يلقي فيها من خطب ودروس ومواعظ، تعالج الأمراض الاجتماعية المنتشرة في الأمة، كانتشار البدع والمعاصي"⁽²¹⁾.

وظلت المساجد رافداً متجدداً من روافد الدعوة؛ فهي مجمع المسلمين الأول في الجمعة والجماعة. ومنها ينادي المنادي للنوازل والحوادث، وكذلك كانت نقطة انطلاق المجاهدين؛ ففيها "كان الخطباء يحثون الناس على التطوع في الجيش الإسلامي، فإذا ما نزل الخطباء من على منابرهم ردد المصلون الهتافات والدعوات، مقبلين زرافات ووحداً، من جميع الجهات إلى معسكر الجيش، بل إن المتطوعة قاموا بعمل مجيد يوم حطين، وأسهموا في إحراز النصر بسرعة على الصليبيين"⁽²²⁾.

كما كانت المساجد في العصر الأيوبي من وسائل الدعوة الموجهة إلى النصارى في فترة الحروب الصليبية، حيث يظهر ذلك من خلال كونها معلماً من معالم المدن الإسلامية، فمن أول ما يلفت نظر غير المسلم الزائر للمدينة الإسلامية هذه المساجد ومآذنها وقبابها التي لم يعتد رؤيتها في بلاده، فيطرح ذلك بعض الأسئلة في ذهنه، والتي ربما تقوده إلى البحث ومحاولة التعرف إلى الإسلام، "فالمساجد من هذه الناحية أول منادٍ يدعو إلى الإسلام لغير المسلم الذي يشاهدها لأول مرة، وهذا هو حال كثير من النصارى القادمين مع الحملات الصليبية الذين لم يعتادوا رؤية المساجد من قبل في بلادهم، وفي المساجد يرفع الأذان الذي يتضمن تمجيدهاً لله تعالى، وتوحيداً له وإعلاناً بنبوة محمد ﷺ وفي ذلك نقض لعقيدة التثليث لدى النصارى ورد على تكذيبهم بنبوة محمد ﷺ، ولا شك أن سماع النصارى للأذان وتكراره في اليوم خمس مرات على مسامعهم فيه دعوة مباشرة لهم إلى التوحيد والإيمان بنبوة محمد ﷺ بغض النظر عن الاستجابة"⁽²³⁾.

المطلب الثاني: العلماء:

العلم هو أساس الدعوة المتين، وأول مطلب في تأهيل الدعاة، وهو يقتضي أن يكون

الداعية على معرفة بفنون الدعوة وأصولها وقواعدها، ووسائل الدعوة وأساليبها وتاريخها، وبعض تجارب الدعاة، وأن يكون الداعية على علم بموضوعات الدعوة من عقيدة وشريعة وأخلاق، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]، فالبصيرة هي العلم والمعرفة، وفي الحديث: (إن الله لم يبعثني معتنياً ولا متعنتاً، وإنما بعثني معلماً ميسراً)⁽²⁴⁾.

والعلماء هم رافد الدعوة ووسيلتها في الديمومة والانتشار والتوسع، ولا نهوض للدعوة بعد توفيق الله تعالى إلا بدعاة مهرة، يحملون مشاعل النور، ويعلمون راية الدعوة، قال ﷺ: (العلماء ورثة الأنبياء)⁽²⁵⁾.

وقد أعلت الدولة الأيوبية من مكانة العلماء وأجزلت لهم العطايا والهبات، فكانوا هم القضاة والمعلمون والسفراء والمستشارون، وحفل هذا العصر بجملة وافرة منهم، فكانوا عوناً للملوك الأيوبيين على تحقيق القسط والعدل، وشحذ الهمم لمقاومة الغزو الصليبي، فظهرت طوائف من أهل العلم في مختلف حقول المعرفة من الفقهاء، والقضاة، والمحدثين، والقراء، والمفسرين، والمؤرخين، والدعاة، والوعاظ، بالإضافة إلى الأدباء والشعراء واللغويين والأطباء⁽²⁶⁾، وبرزت الأدوار الدعوية للعلماء في العصر الأيوبي من خلال:

أولاً: الدعوة إلى الله تعالى:

كان للعلماء في العصر الأيوبي دور عظيم في الدعوة، وتعليم المسلمين أمور دينهم وديناهم، كما كانت لهم مشاركات فاعلة في مجالات الحياة المختلفة من القضاء والفتوى، وفي النهضة العلمية والحضارية في ميادين السياسة، والجهاد، والتأليف...

ولقد كان العصر الأيوبي عصر إحياء في كافة مجالات للفكر والقيم والنظم وجهاد الدعوة، كما كان عصر إحياء سياسي، وكسب ملوك بني أيوب العلماء إلى صفهم، فأصبحوا في كثير من الأحيان مستشارين لهم، وصار الارتباط الوثيق بين السلطة الأيوبية والعلماء مصدراً لقوة الدولة في مواجهة الأزمات، والمخاطر الخارجية والداخلية.

ولقد برزت في هذا العصر قمامات شامخة كان لها جهود علمية ودعوية بارزة؛ في علوم القرآن والحدث والفقه وأصوله، والفكر والدعوة والوعظ، والنحو الأدب والشعر والقضاء

والتاريخ وغيرها، وما زالت مصنفاتهم باقية عبر تطاول العصور، وهي شاهد حي على جهودهم وعبقريتهم وعموم نفعهم، ومنهم على سبيل المثال: المحدث أبو طاهر السلفي (ت576هـ)، والأديب أسامة بن منقذ (ت584هـ)، والإمام أبو القاسم الشاطبي صاحب المنظومة الشاطبية (ت590هـ)، والقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (ت596هـ)، والمؤرخ الأديب العماد الأصفهاني (ت597هـ)، والمقرئ أبو اليمن الكندي (ت613هـ)، وبهاء بن شداد (ت632هـ)، والمبارك بن الأثير الجزري المحدث اللغوي (ت606هـ)، وموفق الدين بن قدامة الحنبلي (ت620هـ)، وعز الدين بن الأثير الجزري المؤرخ الأديب (ت630هـ)، وسيف الدين الأمدى الأصولي (ت631هـ)، وابن أبي الدم الحموي القاضي الفقيه (ت642هـ)، وعلم الدين السخاوي (ت643هـ)، وضياء الدين المقدسي (ت643هـ)، وأبو عمرو عثمان بن الصلاح المحدث (ت643هـ)، وابن النجار المؤرخ (ت643هـ)، وابن الحاجب الأصولي النحوي (ت646هـ) ومجد الدين بن تيمية الفقيه (ت652هـ) والحافظ المحدث عبد العظيم المنذري (ت656هـ) والعز بن عبد السلام (ت660هـ) وابن مالك النحوي (ت672هـ) ومحيي الدين النووي المحدث الفقيه (ت676هـ) وغيرهم كثير.

وهؤلاء الفحول من العلماء كان لهم الجزء الأكبر في نشر الدعوة الإسلامية تعلماً، وتعليماً، وتأليفاً، وتدريساً، فشكّلوا رافد دعوية مؤثرة في حياة الأمة، وفي نشر الإسلام، ونهضة الحضارية.

ثانياً: تولي المناصب المهمة في الدولة:

إضافة إلى جهود العلماء التي كانت منصبة في مجال الدعوة تبوأ العلماء المنزلة العالية علمياً وعملياً في العصر الأيوبي، ويظهر ذلك من خلال وصولهم إلى أعلى مراتب الدولة، فكان منهم الوزراء والمستشارون، ونواب السلطان، والقضاة وأهل الفتوى، فقد "كان القاضي عبد الرحيم البيساني (ت596هـ)، فوضه السلطان صلاح الدين الوزارة، وديوان الإنشاء"⁽²⁷⁾.

وأنيب القاضي عبد الملك بن درباس الحكم والقضاء على الديار المصرية سنة (566هـ)، وفوض القضاء والحكم والخطابة، وجميع الأمور الدينية بمدينة عسقلان وأعمالها إلى القاضي جمال الدين أبي محمد عبد الله بن عمر الدمشقي⁽²⁸⁾.

وكان القاضي شرف الدين ابن أبي عصرون (ت585هـ) وزيراً لصالح الدين الأيوبي⁽²⁹⁾.

ثالثاً: الدروس العلمية:

وكانت تقام في المساجد والمدارس الفقهية، وكان بعض المشايخ يقيمونها في منازلهم، عندما تضعف أجسادهم فلا يقدرّون على الخروج، يقول ابن خلكان أيام طلبه العلم عن القاضي ابن شداد: "وكنا نسمع عليه الحديث ونتردد إليه في داره فقد كانت له قبة تختص به، وهي شتوية لا يجلس في الصيف والشتاء إلا فيها، لأن الهرم كان قد أثر فيه حتى صار كفرخ الطائر من الضعف، لا يقدر على الحركة للصلاة وغيرها إلا بمشقة عظيمة"⁽³⁰⁾.

وكان طلاب العلم يقصدون هذه الدروس من بلاد شتى، فيجدون بيئة علمية مهيأة لطلب العلم، تجري لهم المنح الشهرية وكفايات الطعام والسكن، مما ساعد على تطور الحركة العلمية، فقد وقفت الأوقاف على الذين يشتغلون بعلم الشريعة، أو بأي بعلم يحتاج إليه⁽³¹⁾.

وتنوعت هذه الدروس بين دروس في القرآن والتفسير، والحديث والفقه وأصوله، وعلوم اللغة، إضافة إلى بعض أصناف العلوم العقلية، والتاريخ.

المطلب الثالث: الجهاد في سبيل الله:

الجهاد في سبيل الله تعالى من أعظم وسائل الدعوة، ونشر الدين، وحماية أهله، ولقد بعث الله نبيه ﷺ إلى الناس كافة مبشراً ونذيراً، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]، فقام ﷺ بالدعوة أتم القيام، وقام بالأمر بعده أصحابه الكرام، ثم من بعدهم من أصحاب القرون المفضلة.

ولما كان عصر الدولة الأيوبية حملت هذه الدولة لواء الدعوة إلى الله، وقام سلاطينها وعلمائها بواجب الدعوة إلى الله بكافة الوسائل والأساليب، متمثلين قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

ولا يخفى على ذي اطلاع أن الدعوة إلى الله في عصر الدولة الأيوبية واجهت تحديات، ومخاطر جمة في خضم الأوضاع التي كانت سائدة في سائر ديار الإسلام، فجزء منها كان تحت

سيطرة الفرنجة، وجزء ثانٍ قايع تحت حكم الفاطميين، ومن هنا كان جهاد الدعوة من أعظم سمات هذا العصر وأبرز وسائل الدعوة، وقد تجلى في مسارين هما:

أولاً: الجهاد باللسان والحجة والبيان:

لئن كان الجهاد قد شرع لحماية الدعوة وحفظها فقد كان العصر الأيوبي عصر جهاد الدفع ضد الفرنجة الغاصبين بلاد الإسلام، وعلى رأسها أولى القبلتين، فبرز أمر الجهاد في مجالس الدعوة، ومنابر المساجد، وألسن الدعاة والخطباء، ومؤلفات الفقهاء، والمؤرخين، والوعاظ والساسة.

ولقد أخذت الدعوة الإسلامية في عصر صلاح الدين الأيوبي متنفسها، فصدحت الحناجر في المساجد، ونشطت حلقات العلم، وتنافس الوعاظ والخطباء في المنابر، وتكاتف أهل السنة كل في مجاله واختصاصه لحمل هم الدعوة، وتوجيه الأمة، قال ابن القيم: "الجهاد جهادان؛ جهاد باليد والسنان، وجهاد باللسان بالحجة والبيان، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه"⁽³²⁾. ومن جملة من اشتهر بالدعوة والوعظ في هذا العصر على كثرتهم:

1- محيي الدين محمد بن علي القرشي (ت598هـ)، قاضي دمشق وفقهها، كان صاحب فنون وذكاء، وفقه وآداب، وخطب ونظم، وكان صلاح الدين يعزه ويحترمه، ولاه القضاء سنة 588هـ، وهو القائل يبشر السلطان صلاح الدين بفتح القدس:

وفتحك القلعة الشهباء في صفرٍ ** مبشراً بفتح القدس في رجب

فاتفق فتح القدس في رجب بعد أربع سنين، سنة 583هـ⁽³³⁾. ولجليل قدر هذا الشيخ وعظيم فضله فقد كان محل اختيار صلاح الدين الأيوبي ليخطب في المسلمين في أول جمعة بعد فتح بيت المقدس، يقول العلامة أبو شامة المقدسي: "ولما أصبحنا يوم الجمعة وجدنا العلل مزاحة، والههم مراحة، والخواطر إلى وردها ملتحاة مرتاحة، وهناك فضلاء بلغاء، وعلماء أتقياء، وكل منهم قد سبق بخطبة الخطبة، وأمل الفوز بفضيلة تلك الرتبة، وأعد لذلك المقام مقالاً... وعين السلطان القاضي محيي الدين أبا المعالي محمد بن علي القرشي ابن الزكي للصلاة والخطبة، وفرع تلك الرتبة، فصعد وسعد، وحمد وأحمد، وأدت المعاني

الشريفة أفاضه، ونبه الأقباط والأداني إيقاظه، وجلا المسامع، وجلت المدامع، وأتى بالخطبتين المفروضتين على الوجه المشروع، والمنهج المتبوع، والشرط الموضوع⁽³⁴⁾.

2- الواعظ المشهور سبط ابن الجوزي (ت654هـ)، واعظ الشام، انتهت إليه رئاسة الوعظ، وحسن التذكير، ومعرفة التاريخ، وله من المصنفات: تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة، وكنز الملوك في كيفية السلوك، والجليل الصالح، وتفسير القرآن، وغيرها، وهو إلى وعظه البليغ، وحلاوة منطقته، مؤرخ همام، يدل على ذلك مصنفه الوافر مرآة الزمان في تواريخ الأعيان⁽³⁵⁾.

3- ابن نجا الواعظ المشهور (ت599هـ)، زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم الدمشقي، الحنبلي، نزيل مصر، تفقه ببغداد، وعاد إلى دمشق، وقدم مصر، وصحب السلطان صلاح الدين بن أيوب، وكان له مكانة رفيعة عنده⁽³⁶⁾، وكان عالماً مشهوراً من أهل السنة، وله تأثير قوي على العامة، لبلاغته، وجودة وعظه؛ وقد رفع صلاح الدين من مكانة ابن نجا، وقربه إليه، وكان يكتابه، ويحضر مجلسه، وحضر ابن نجا مع صلاح الدين فتح القدس، وقام على كرسي الوعظ، وكان يوماً مشهوداً في تاريخ الإسلام. وبعد وفاة صلاح الدين، صار ابن نجا مقرباً من ولده الملك العزيز عثمان (589-595هـ)، سلطان مصر، وكان ابن نجا قبل ذلك كله مقرباً من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، وكان يبغض الباطنية، وينعتهم بأشنع النعوت، كما كان الباطنيون يبغضونه، ويحقدون عليه لهذا السبب وليقظته لهم⁽³⁷⁾.

لقد كان للعلماء دورهم الكبير في إبراز فكرة الجهاد، وكانت نصوص القرآن والسنة المصدر الأساس الذي انطلقوا منه، وتعددت أساليبهم في توعية الأمة بمخاطر العدو، وفي الحث على الجهاد، فكان لذلك أثر كبير في توسيع دائرة المقاومة، وكانت ردة فعل العلماء على غزو الفرنجة ديار المسلمين سريعة ومبكرة، فهذا القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني "اتخذ من احتلال الفرنج لبيت المقدس دافعاً ومحرضاً قوياً للسلطان صلاح الدين وجنوده والمسلمين عامة، واستنهاض همهم للجهاد في سبيل الله بتحريره منهم"⁽³⁸⁾.

وكذلك العماد الأصفهاني الذي لامست رسائله مكانة في النفوس فكان قلمه أشد وأنكى بأساً على الصليبيين، وبأسلوبه البليغ المؤثر ألف بين قلوب المجاهدين، وحبب الاستشهاد إلى

نفوسهم. ويحكي عن قلمه قائلاً: "فدواء دواتي أنجع، ومدد مدادي أنفع، ويراع براعتي القصير أطول، وسلاح قلبي أجد وأحد وأفتك وأقتل، وما اجتمعت هذه العساكر الإسلامية إلا بقلبي، ولا تفرقت جموع الكفر إلا بكلمها من جوامع قلبي"⁽³⁹⁾.

وكان للقاضي ابن شداد دور في الدعوة إلى الجهاد ففي واضحة من خلال الكتاب الذي ألفه للسلطان صلاح الدين، وفيه أحكام الجهاد وآدابه، وكان السلطان دائماً ما يقرؤه، وكذلك يظهر دور القاضي في تثبيت السلطان ونصحه، وكان كثيراً ما يحث على الجهاد. وإثارة حماس السلطان وللجنود في ساحة القتال، وقد سجل ابن شداد كثيراً من الحوادث التي تؤكد دوره وأثره الكبير في التعبئة الفكرية والضرورية للجهاد أثناء المواجهة مع الفرنج، وذلك بقراءته بعض الأحاديث النبوية على مسامعهم لإثارة حماسهم⁽⁴⁰⁾.

ثانياً: الجهاد باليد واللسان:

يلحظ المتأمل في العصور الإسلامية أن العصر الأيوبي كان عصر ذروة الحملات الصليبية التي تعتبر حلقة من حلقات الصراع الأبدي بين الخير والشر، ولقد اختلت في بداية هذا العصر موازين القوى بين الشرق الإسلامي والغرب الصليبي، فكانت تميل لصالح الغرب⁽⁴¹⁾، ولقد شاءت إرادة الله تعالى أن يرم لهذه الأمة أمرٌ شدد؛ فظهر القائد الرباني صلاح الدين الأيوبي الذي وقف ضد المد الصليبي الغاشم، وفتح الله على يديه ومن معه من الثلة المؤمنة بيت المقدس، والتقى مع الفرنجة معركة حطين⁽⁴²⁾، التي كسرت فيها شوكة الصليبيين، وسطرها الأبطال، يتقدمهم صلاح الدين، وتكلت تلك المعركة بالفتح المبين لبيت المقدس في العام 583هـ⁽⁴³⁾.

وبفتح بيت المقدس واسترجاعه من أيادي الصليبيين؛ انحسر المد الصليبي في ديار الإسلام، وصارت مآذن بيت المقدس تصدح بالأذان، وأضحت من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي.

ولقد جاهد المسلمون في العصر الأيوبي "بقدر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وبذلوا جهدهم المستطاع، ولم يتعللوا بقوة عدوهم وتفوقه، ولم يرهبوا حلفاءه وإمداداته"⁽⁴⁴⁾.

لقد قامت الدولة الأيوبية على تبني فكرة جهاد دفع العدوان عن بلاد المسلمين، وحماية المستضعفين، فانعكس ذلك في الصفحات المشرفة التي سجلها صلاح الدين بجهاده وعدله،

وحينما فتح بيت المقدس فلم يُكره أحداً على دينه، ولم يتم التعرض لأصحاب الأديان الأخرى⁽⁴⁵⁾.

وفي الوقت الذي كان الصليبيون يعيثون فساداً في مقدسات المسلمين كان صلاح الدين الأيوبي يعمل جاهداً على توحيد الأمة، وتسخير كل إمكاناتها لمقاومة المحتل، يقول بهاء الدين بن شداد عن شغف وعناية صلاح الدين الأيوبي بالجهاد: "ولقد كان شديد المواظبة على الجهاد، عظيم الاهتمام به ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد ديناراً ولا درهماً إلا في الجهاد أو في الأفراد لصدق وبر في يمينه"، ويقول: "وقد كان وهو في المعركة لا يفتر شغلاً عن حث الجنود على الجهاد ويرغبهم به، وينادي يا للإسلام"، ويقول: "وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله يتخير بوقعائه الأوقات التي تكون أقرب إلى الإجابة سيما أوقات صلة الجمعة، تركاً بدعاء الخطبة على المنابر"⁽⁴⁶⁾.

كان السلطان رحمه الله يفزع للقربة والعبادة إذا ما أصابه هم أو غم، وكانت بطانته بذلك له ناصحة، فيذكره القاضي ابن شداد في إحدى الوقائع، فيقول: "من كثراته بما قد حمل على نفسه وقد عجزت أسبابه الأرضية، ينبغي أن يرجع إلى الله، وهذا يوم الجمعة وهو أبرك أيام الأسبوع فيه دعوة مستجابة ونحن في أبر موضع، فالسلطان يغتسل ويتصدق بصدقة خفية بحيث لا يشعر أحد أنها منه، ويصلي بين الأذان والإقامة ركعتين يناجي فيهما ربه، ويفوض مقاليد أموره إليه، ويعترف بالعجز عما تصدق له، فلعل الله يرحمه ويستجيب دعاءه"⁽⁴⁷⁾.

هذه النصوص التي سطرها أحد خواص صلاح الدين رحمه الله - وهو القاضي ابن شداد - تدلنا على مدى ما وصل إليه الاهتمام بالجهاد في ذلك العصر، ومن الاهتمام بالجهاد وأحكامه وآدابه فقد جمع له القاضي ابن شداد كتاباً فيه آدابه، وكل آية وردت فيه، وكل حديث روي في فضله، وشرح غريبها، قدمه بين يديه فأعجبه، وكان رحمه الله كثيراً ما يطالعها⁽⁴⁸⁾.

وهذا الحب والاهتمام بالجهاد من السلطان صلاح الدين أكسبه محبه الناس وفي مقدمتهم العلماء، يقول ابن شداد: "قد أوقع الله في قلبي محبته منذ رأيته وحبته للجهاد، فأحبته لذلك وخدمته"⁽⁴⁹⁾.

لقد قامت الدولة الأيوبية في ابتداء أمرها وانتهائه وهي في كفاح ضد المستعمر الصليبي، رافعة راية الجهاد في سبيل الله سنين عديدة، فكان للجهاد في سبيل الله دوره الكبير في الدفاع عن بلاد المسلمين ومقدساتهم، وكذلك في إبراز سماحة الإسلام وثقافته، من خلال الأخلاق الحربية التي كان يتعامل بها صلاح الدين مع أعدائه، وكذلك في إنشاء المراكز العلمية، والمدارس وغيرها، وكان الأيوبيون إذا دخلوا بلداً عملوا على تعضيد روافد الدعوة الإسلامية ووسائلها، وأبرز مثال على ذلك أن "بيت المقدس عاشت حياة فكرية نشطة بعد زوال الاحتلال، وتعددت روافد تلك الحياة الفكرية، وتمثلت في إنشاء الكثير من المراكز العلمية، من مدارس، ومساجد، ومكتبات، ورباطات، وغيرها"⁽⁵⁰⁾.

المطلب الرابع: الخطابة:

الخطبة وسيلة من وسائل التبليغ القولية، ولها أهمية كبيرة في إرشاد الناس وحملهم على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، والخطابة معدودة من وسائل السيادة والزعامة. ولو نظرنا إلى الدعوة الإسلامية، لوجدناها قد جاءت في قوم اشتهروا بالبلاغة والفصاحة وقوة البيان، قوم كان القول صنعتهم، والبلاغة سوقهم، فكانت الخطابة الأداة الأولى للدعوة الإسلامية.

لقد كان ظهور الدعوة الإسلامية حدثاً عظيماً في تاريخ الحياة الإنسانية، حيث اعتمدت الدعوة على الخطابة في التبليغ، والدفاع عن قيمها ومبادئها، وأصبحت الخطابة من الشعائر التعبدية، في يوم الجمعة، ولا تصح إلا بها، وشرعت الخطبة في الحج، وفي صلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء، إلى جانب خطب الجهاد.

وكان للخطابة دورها كبير في عصر الأيوبيين، فقد كان القاضي بهاء الدين بن شداد (ت632هـ) رسول السلطان صلاح الدين إلى الأمراء، وكان خطيب المجالس التي يعقدها صلاح الدين للتشاور في أمور الجهاد⁽⁵¹⁾، وكذلك عبد الملك الدولي الفقيه الشافعي (ت598هـ)، العالم المفتي كان خطيب دمشق، وكان من الفقهاء المشهورين والصلحاء الورعين⁽⁵²⁾، وغيرهما.

وللأهمية الكبيرة التي نالتها الخطابة في العصر الأيوبي فقد "خصصت بالمسجد الأقصى دار للخطابة، وإن دل هذا على أمر فإنما يدل على الأهمية الكبيرة التي كانوا يولونها للخطابة آنذاك"⁽⁵³⁾.

وقد تنوعت ضروب الخطابة في عصر الأيوبيين ويمكن تقسيمها على أنواع، كالآتي:

أولاً: الخطب الدينية:

وهذا النوع من الخطب هو السائدة في المجتمعات الإسلامية، وغالبها خطب الجمع في المساجد التي فيها توعية الناس لما يعرض عليهم من مشاكل، أو الخطب التي من شأنها تعليم الناس أمور دينهم، "فيتلطف الخطيب في الوعظ، ويرقق التذكير، حتى تخشع القلوب القاسية، وتتفجر العيون الجامدة"⁽⁵⁴⁾.

وحين وصول السلطان صلاح الدين مصر أقام الخطبة في جامع الحاكم بأمر الله عوضاً عن الأزهر⁽⁵⁵⁾، وكان الناس يتأثرون بالخطب الوعظية، فقد ظل سبط ابن الجوزي أكثر من نصف قرن يعظ الناس، وكان لوعظه أثره في نفوس سامعيه، فكانوا يحتملون في سبيله مشقة النوم بالمسجد، كي يظفروا بمكان يستمعون فيه إلى الوعظ، وكان ينكر على أرباب الدولة ما يقترفونه من الإثم، وعلى الفساق ما يأتونه من المنكرات، فيقبلون إليه تائبين عن المعاصي والآثام⁽⁵⁶⁾.

وعندما نقص نهر النيل واشتد المحل، ويئس الفلاحون، أقبل الناس واستسقوا ثلاثة أيام، وصعد الخطيب فأفاض في ذكر الوعيد، وغصت بالخلائق الأمكنة، وضجت بالأدعية والضراعات الألسنة، وقد ألف العلامة أبو الحسن الهروي (ت611هـ) كتاباً في الخطب، وقدمه للملك الناصر⁽⁵⁷⁾.

ثانياً: الخطب السياسية:

وهي الخطب التي تحمل في طياتها أموراً سياسية، "كالخطبة التي أقيمت في مصر للعباسيين بعد زوال الدولة الفاطمية"⁽⁵⁸⁾، وأقيمت الخطبة في الإسكندرية، وذلك لأنها ظلت على المذهب السني طول العصر الفاطمي⁽⁵⁹⁾، وفي هذه الخطبة "يأخذ الخطيب فيها مأخذاً سنياً يجمع فيها الدعاء للصحابة، رضي الله عنهم، وللتابعين ومن سواهم، ولأمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ، ولعميه الكريمين حمزة والعباس، رضي الله عنهما"⁽⁶⁰⁾. ومنها الخطب التي تعلن الولاء للخليفة أو الحاكم أو تولية ولي العهد، وكان يحضر هذه الخطبة القضاة والفقهاء العدول⁽⁶¹⁾.

ومن هذا النوع الخطب التي من شأنها الدعوة إلى التكاتف واللحمة الإسلامية، والتذكير بحقوق ولي الأمر.

ثالثاً: خطب الجهاد:

وهذه الخطب كانت هي الخطب الرائجة خلال فترة الحروب مع الصليبيين، ونالت عناية كبيرة لما لها أهمية بالغة في الحث على الجهاد، وتذكر بفضلله، والتحذير من القعود عنه، وبخاصة في الأوقات التي كان المسلمون يواجهون فيها أعداءهم، وقد كان لهذه الخطب خاصة تلك التي تلقى يوم الجمعة أثرها الواضح فيما تحقق للمسلمين من انتصارات من خلال حفزهم لخوض المعارك.

وقد حظيت أول خطبة بعد فتح بيت المقدس - كما تقدم معنا - بأهمية خاصة، لكونها أول خطبة تقام بعد الفتح، ولما كان لها من أثر على المجاهدين، وتسابق العلماء والخطباء لنيل شرف إلقاء هذه الخطبة، حتى أوعز السلطان صلاح الدين إلى القاضي محيي الدين بن الزكي بإلقائها، وتعد هذه الخطبة من أهم الخطب التي قيلت في الحث على الجهاد، ويعود ذلك إلى بلاغتها، وحصافة صاحبها، وسعة علمه⁽⁶²⁾.

رابعاً: الخطب الاجتماعية:

وهي التي تدعو لنشر المحبة وتنقية الصدور والتكاتف والتكافل الاجتماعي والبر والإحسان إلى الفئات الضعيفة في المجتمع.

المطلب الخامس: الحسبة:

رتبت النظم الإسلامية الحسبة لمراقبة الأسواق والحياة اليومية العامة؛ للتأكد من مطابقتها للأحكام الإسلامية.

والحسبة: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس، والمحتسب من نصبه الإمام للنظر في أحوال الرعية، والكشف عن أمورهم ومصالحهم⁽⁶³⁾.

لقد اهتمت الشريعة الإسلامية بكل ما فيه تقويم وصلاح المجتمع، ومن ذلك اهتمامها بمن يقوم بتطبيق الشريعة، وينوب الحاكم في تنظيم وترتيب أحوال المجتمع كالمحتسب.

فتفويض الحسبة لا يكون إلا لمن هو أهل لها وبأمرها ومضطلع، وللسنة النبوية في إقامة حدودها متبع⁽⁶⁴⁾.

مجالات الحسبة:

تعدى مفهوم الحسبة ليشمل الرقابة على كل ما يتعلق بالمعاملات، "كانت بعض مدن اليمن في العصر الأيوبي وبعض الجهات بها، يتولى عليها حاكم يعين من القضاء، ومهام هذا الحاكم متعددة، من أهمها: الحسبة، وأهم أعمال الحسبة هي كل ما يتعلق بالمعاملات من غش المبيعات وتدليس الأثمان، ومن مهامه المنع من التطفيف والبخس في المكايل والموازين"⁽⁶⁵⁾.

ومن أعمال المحتسب الأيوبي النظر في الأسواق وترتيبها وتنظيمها، ولأهمية الحسبة في هذا العصر فقد ألف العلامة جلال الدين العدوي الشيزري (ت590هـ) كتاباً أسماه نهاية الرتبة الظرفية في طلب الحسبة الشريفة جمع فيه أصول وقواعد الاحتساب ووظائف المحتسب، ويقول فيه: "فقد سألتني من استند لمنصب الحسبة، وقلد النظر في مصالح الرعية، وكشف أحوال السرقة، وأمور المتعشين، أن أجمع له مختصراً كافياً في سلوك منهج الحسبة على الوجه المشروع، ليكون عماداً لسياسته، وقواماً لرياسته، فأجبتة إلى ملتسمه، ذاهباً إلى الوجازة، لا إلى الإطالة، وضممته طرفاً من الأخبار، وطرزته بحكايات، وآثار، ونهت فيه على غش المبيعات، وتدليس أرباب الصناعات، وكشف سرهم المدفون، وهتك سرهم المصون، راجياً بذلك ثواب المنعم ليوم الحساب، واقتصرت فيه على ذكر الحرف المشهورة دون غيرها، لمسيس الحاجة إليها، وجعلته أربعين باباً، يحتذي المحتسب على مثالها، وينسج على منوالها، وسميته نهاية الرتبة في طلب الحسبة"⁽⁶⁶⁾.

وقد ألف السائح الهروي المشهور كتاباً في الخطب وقدمه للملك الناصر فوقع له بالحسبة في سائر البلاد، فكان إذا دخل بلاداً عمل بها الحسبة إلى أن يخرج منها⁽⁶⁷⁾.

ويمكن القول إن "وظيفة الحسبة في العصر الأيوبي إلى جانب المهام التقليدية للحسبة الإسلامية، قد خضعت للإشراف المباشر القضائي، واتصفت بصفة سياسية لخدمة الاتجاه

السياسي للسلطنة الأيوبية السنية في محاربة بقايا الوجود الشيعي في مصر والشام⁽⁶⁸⁾، فقامت الحسبة بدور مزدوج لمواجهة التشيع، والتأكد من تطبيق الشريعة الوسطية.

المطلب السادس: الأوقاف الخيرية:

الوقف في الاستعمال اللغوي يأتي بمعان عدة، منها: الحبس، والإمساك، والمنع من التصرف⁽⁶⁹⁾.

وفي الاصطلاح: حبس العين على ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة⁽⁷⁰⁾.

فالوقف هو تخصيص مال أو عين للانتفاع بها في مناشط متنوعة دينية أو دعوية أو اجتماعية أو علمية أو اقتصادية أو صحية تسهم في تعزيز البناء الاجتماعي وتقوية أواصره، وتنميته.

ولقد كان أهم الأهداف الأساسية للوقف في الإسلام الحفاظ على مكانة الدين، وتحصيل السبل المناسبة للدعوة، فنظام الوقف بمعناه العام ارتبط ابتداءً بدور العبادة؛ لأن العبادات في الإسلام مدرسة للتربية والتعليم، وتكوين السلوك الراقي فرديًا وجماعيًا، وتعميق الشعور بوحدة الأمة، والانتماء إليها؛ لهذا حُصِّصت لها الأموال الحبسية للإنفاق عليها وعلى القائمين بخدمتها.

وقد اهتم المسلمون بأمر الوقف منذ فجر الإسلام، وأولوه عنايتهم ورعايتهم، لما له من أثر كبير في توجيه المجتمع، ونشر تعاليم الدين الحنيف، وتقوية اللحمة الداخلية بين أفراد المجتمع المسلم، ورعاية الفئات المحتاجة.

ولقد كان للوقف دور عظيم ومؤثر في نشر الدعوة الإسلامية في عصر الدولة الأيوبية، وبرز ذلك من خلال مجالات الوقف المتعددة التي شهدتها هذه الدولة تلبية لحاجات المجتمع العلمية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والإنسانية والدعوية، ومن هنا تبرز أهمية الوقف الإسلامي عبر ما تقدمه المؤسسات الوقفية من أعمال الخير والأوقاف العظيمة على الجوامع والمساجد والمدارس والبيمارستانات (المستشفيات)، والرُّبُط ودور الحديث.

ومن ثمار الوقف الإسلامي المساهمة في نشر الثقافة الإسلامية والمحافظة على التراث، وتنمية الوعي الديني والانتماء إلى العقيدة الإسلامية الصافية.

وتم استخدام نظام الوقف في العصر الأيوبي للصرف على منشآت الدعوة التي تعمل على نشر مذهب أهل السنة والجماعة، واستمالة قلوب الناس، وتوطيد أركان الدولة التي قامت على أنقاض الدولة الفاطمية⁽⁷¹⁾.

وكان السلاطين والأمراء والعلماء والميسورون في المجتمع الأيوبي يتسابقون على الأوقاف في وجوه البر، والإنفاق في سبيل الله، ويذكر ابن جبير (ت614هـ) في رحلته لدمشق في عهد صلاح الدين رحمه الله، فيقول: "حتى إن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيه، وكل مسجد يستحدث بناؤه أو مدرسة يعين لها السلطان أوقافاً تقوم بها وبساكنيها والمتزمين لها، وهذه أيضاً من مفاخره المخلدة، ومن النساء من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة، وتنفق فيها الأموال الواسعة، وتعين لها من مالها الأوقاف، ومن الأمراء من يفعل مثل ذلك، لهم في هذه الطريقة المباركة مسارعة مشكورة عند الله عز وجل"⁽⁷²⁾. وقد تعددت مجالات الوقف في العصر الأيوبي، ومنها:

أولاً: المجال الديني والعلمي:

تنوعت الأوقاف في العصر الأيوبي لتشمل بناء المساجد وتعميرها، أو الأوقاف التي يعود ريعها في خدمة طلبة العلم وتسهيل طلبهم، من منح شهرية، أو كفاية المؤونة والسكن.

ومن أهم الأوقاف التي عُني بها الأيوبيون الأوقاف على الحرمين الشريفين، لتأمين طريق حجاج بيت الله، فلم يدخروا وسعاً في تذليل الصعوبات لقاصدي بيت الله الحرام، ومن مفاخره التي أبقاها ذكراً جميلاً إزالته رسم المكس⁽⁷³⁾ المضروب وظيفه على الحجاج مدة دولة العبيدين، فكانوا يلاقون منهم عنناً ومشقة، وفي سنة 572هـ أمر صلاح الدين بإبطال الغفارة التي كانت تؤخذ من الحجاج المسافرين عن طريق البحر الأحمر⁽⁷⁴⁾. وكذلك ورد "في أوقاف صلاح الدين رحمه الله وقف من أعمال مصر على أربعة وعشرين خادماً لخدمة المسجد النبوي الشريف، وذلك في ربيع الآخر سنة 569هـ"⁽⁷⁵⁾.

كما استعمل صلاح الدين الأيوبي رحمه الله نظام الأوقاف كوسيلة لحماية فريضة الحج، وللصرف على القومة والسدنة والمتكفلين بخدمة الكعبة⁽⁷⁶⁾.

وقد نشر الأيوبيون المنشآت التعليمية، وكثرت الأوقاف على تلك المنشآت، سواء من قبل الحكومة أو كبار الأمراء والتجار، وغيرهم من ميسوري المجتمع، بحيث أصبح الوقف ظاهرة تسترعي النظر في العصر الأيوبي⁽⁷⁷⁾، وتعتبر مؤسسة الوقف "أهم مورد مالي رصد لحياة المسجد، ليستمر الوعاظ والحفاظ والخطباء في ممارسة أدوارهم في الدعوة إلى معاني الخير، والحث على الجهاد في سبيل الله، ومعالجة قضايا الناس ومشاكلهم"⁽⁷⁸⁾.

وكان للأوقاف أثرها الواضح في انتشار المساجد وقيامها بدورها الريادي من صدر الإسلام، ووصف ابن جبير الإسكندرية بـ"أنها أكثر بلاد الله مساجد، وكلها بأئمة مرتبين من السلطان"⁽⁷⁹⁾، وعندما دخل دمشق ورأى معلمها قال: "ولكل مشهد من هذه المشاهد أوقاف معينة من بساتين وأرض بيضاء، حتى إن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيه، وكل مستجد يستحدث بناؤه أو مدرسة أو خانقاه يعين لها السلطان أوقافاً تقوم بها وبساكنيها والملتزمين لها، ومن الأوقاف - كذلك - في دمشق؛ الأوقاف على الغرباء القاصدين مساجد دمشق للتزود من العلم والقرآن، وقال أيضاً: "ومرافق الغرباء في هذه البلدة أكثر من أن يأخذها الإحصاء، ولا سيما لحفاظ كتاب الله عز وجل، والمنتمين للطلب، فالشأن بهذه البلدة لهم عجيب جداً"⁽⁸⁰⁾.

ومن مآثر السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله الكاشفة عن اعتناؤه بأمور المسلمين كافة، أنه أمر بعمارة محاضر ألزمها معلمين لكتاب الله عز وجل، وتجري عليهم الجارية الكافية لهم⁽⁸¹⁾، وقد كانت هذه الأوقاف الكثيرة لتيسير سبل المعيشة في هذه المدارس للأساتذة والطلاب، إحدى الوسائل الهامة التي أسهمت في جذب العلماء وطلاب العلم، وقد كان من المتبع عند تأسيس أي مدرسة؛ أن يوقف عليها ما يكفي لاستمرار الحياة العلمية بها، وحظيت بعض المدارس "بنصيب وافر نتيجة ثراء وقفها، فيحظى منتسبوها بنصيب من المال والمأكولات والملابس"⁽⁸²⁾.

ولم تكن الأوقاف مقتصرة فقط على الرجال؛ فقد كان للنساء دورهن في بناء المساجد ووقف الأوقاف عليها، بما ييسر الحياة العلمية فيها، يقول ابن جبير في رحلته إلى دمشق: "ومن النساء الخواتين ذات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة، وتنفق الأموال الواسعة، وتعين لها من مالها الأوقاف"⁽⁸³⁾.

ثانياً: المجال الاجتماعي:

تنوعت مناشط الأوقاف في العصر الأيوبي لتغطي مختلف جوانب الحياة ومنها الجانب الاجتماعي، وهذا "انعكاس حقيقي لروعة أخلاق الواقفين المسلمين، وتضامن المجتمع الإسلامي كله، وهو وفي نفس الوقت امتداد "رائع لحضارة الإسلام المجيد، التي اهتمت بكافة الخدمات التي يحتاجها العامة والخاصة في تلك الآونة الزاهرة"، وتطبيق واقعي لقيم الإسلام وإنسانيته وأنظمتها، ومن الأوقاف الجليلة التي تدل على التكافل الاجتماعي ما أنشأه صلاح الدين الأيوبي من تخصيص وقف على محضرة للأيتام ومدرستهم وكسوتهم، وتعيين ناظر لهم حتى يتم بشؤونهم، وكان بعض الواقفين يوزعون اللحم على الفقراء والمحتاجين أيام الجمعة⁽⁸⁴⁾، وهذا فيه دلالة كبيرة على عمق قيم التكافل والإحسان ومعاني الرحمة والخير في المجتمع المسلم آنذاك.

ومن الأوقاف العظيمة التي تدل على قيمة الإخاء بين المسلمين؛ الأوقاف لفكاك أسرى المسلمين، ومنها: وقف صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فإنه "لما ملك ديار مصر وقف وقفاً عظيماً في بلبس على فكاك الأسرى"⁽⁸⁵⁾، وكان للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (ت596هـ) صنائعه وأوقافه لفكاك أسرى المسلمين؛ فقد كان له دار عظيم في مصر يؤجر بمبلغ كثير أوقفه على فكاك أسرى المسلمين⁽⁸⁶⁾.

ومن الأوقاف العظيمة التي تدل على قيمة المواساة؛ المرافق المهيأة لاستقبال الغرباء والعناية بهم، يقول ابن جبير في رحلته إلى دمشق: "ومرافق الغرباء بهذه البلدة أكثر من أن يأخذها الإحصاء"⁽⁸⁷⁾، ويوجد - كذلك - وقف لأبناء السبيل، والمسافرين ببناء الأمير بهاء الدين قراقوش (ت597هـ) في القاهرة، وبه بئر وحوض⁽⁸⁸⁾.

وهذه الأفعال العظيمة بين أفراد المجتمع المسلم تجسيد لقوله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)⁽⁸⁹⁾.

ثالثاً: المجال الصحي:

ساندت الأوقاف الدولة الأيوبية في أحلك الظروف التي مرت بها، مما يعكس الأهمية لتلك المؤسسات العلاجية التي كرسست لعلاج المرضى والمصابين والجرحى⁽⁹⁰⁾، ومن هذه المؤسسات

وأعظمها: البيمارستان (المستشفى) الصلاحي: الذي بناه وعمره صلاح الدين، وأوقف عليه الأوقاف⁽⁹¹⁾، يقول ابن جبير في رحلته إلى القاهرة: "ومما شاهدناه أيضاً من مفاخر هذا السلطان: المارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائقة حسناً واتساعاً، أبرزه لهذه الفضيلة تاجراً واحتساباً، وعين قيماً من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير، ومكنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها، ووضعت في مقاصر ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى، وبين يدي ذلك القسم خدّمة يتكفون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم، وبإزاء هذا الموضع؛ موضع مقتطع للنساء المرضى، ولهن أيضاً من يكلفهن، والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال، ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد⁽⁹²⁾، وكذلك البيمارستان الذي بناه أبو الحسن القيّمري (ت654هـ)، كان يلبي الاحتياجات الصحية للمجتمع الدمشقي، على درجة راقية في تقديم الخدمات للمرضى، والعناية بهم، وتوفير الأدوية لهم، وجعل له وقفاً لمعالجة المرضى والأدوية وأجرة للطبيب والمشرفين والمعالجين.

ومما سبق يتضح دور الأوقاف في رفد الثقافة الإسلامية في العصر الأيوبي، والتي شملت مناشط عديدة في واقع الثقافة الإسلامية، دينياً وعلمياً واجتماعياً وصحياً، وكانت عاملاً كبيراً في استمرار العملية التعليمية، بحيث كانت الأوقاف سبباً للاطمئنان النفسي للمعلمين والمتعلمين، بتوفير الجرايات الشهرية والمؤونة والسكن، وراتب المعلمين، وحتى العناية الصحية، عوضاً عن الانشغال بتوفير متطلبات السكن والمعيشة، كذلك قدمت لنا صورة جلية وواضحة عن مدى التكافل بين أبناء المجتمع المسلم، الذي يجسد مبدأ الأخوة الإسلامية، والتكافل الاجتماعي.

الخاتمة:

بعد هذا العرض لوسائل الدعوة في العصر الأيوبي يطيب للباحث تسجيل النتائج والتوصيات فيما يأتي:

أولاً: أهم نتائج البحث:

- 1- كانت الدولة الأيوبية - رغم قصر عمرها النسبي - دولة فتيّة، برزت فيها معالم الحضارة الإسلامية بجلاء في مختلف جوانبها.

- 2- عُني سلاطين بني أيوب بالعلم والعلماء، وأولوا الدعوة الإسلامية عناية خاصة، فكان لها أثرها في القضاء على الدولة الفاطمية، ومقاومة الحملات الصليبية الشرسة.
 - 3- تنوعت وسائل الدعوة في العصر الأيوبي؛ فشملت المساجد والمدارس والخطابة والحسبة والأوقاف وغيرها.
 - 4- أعاد الأيوبيون للجهاد ألقه بفضل الله تعالى؛ سواء كان جهاد دعوة باللسان أو دعوة بالسنان.
 - 5- معظم وسائل الدعوة كانت بارزة في عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي؛ بطل حطين وفتح بيت المقدس.
 - 6- حفل العصر الأيوبي بظهور جهابذة من علماء الإسلام في مختلف العلوم.
- ثانياً: توصيات البحث: يوصي الباحث بما يأتي:
- 1- دراسة أساليب الدعوة إلى الله تعالى في العصر الأيوبي.
 - 2 - دراسة جهود العلماء والوعاظ في العصر الأيوبي، وفي مقدمتهم العزبن عبد السلام وسبط ابن الجوزي.
 - 3 - نشر نتائج الأبحاث العلمية.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) إبراهيم بن محمد بن دقماق، (ت750هـ)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، د. ت.
- (2) إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د. ط، د. ت.
- (3) أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي، (ت611هـ)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1423هـ.
- (4) أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ط، د. ت.
- (5) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (ت665هـ)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1418هـ.

- (6) أبو عمر عثمان بن الصلاح الشهرزوري، (ت643هـ)، طبقات الفقهاء الشافعية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1992م.
- (7) أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها وسائلها، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، د. ت.
- (8) أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، د. ت.
- (9) أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ط، د. ت.
- (10) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت728هـ)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد، د. ط، د. ت.
- (11) أحمد بن علي القلقشندي (ت821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت.
- (12) أحمد بن علي المقرئ، (ت845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
- (13) أحمد بن فارس القزويني، (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.
- (14) أحمد بن محمد بن خلكان، (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م.
- (15) أحمد فؤاد سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ط، د. ت.
- (16) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الكويت، ط1، 1429هـ.
- (17) إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت393هـ)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ.
- (18) بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد، (ت632هـ)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية في مناقب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1415هـ.
- (19) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت911هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1967م.
- (20) جمال الدين فالج الكيلاني، الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، د. ط، د. ت.
- (21) حامد غنيم أبو سعيد، (معاصر)، الجبهة الإسلامية في مواجهة المخططات الصليبية، دار السلام، القاهرة، ط1، 1428هـ.

- (22) الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، دمشق، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ.
- (23) الخيل بن أحمد الفراهيدي، (ت 170هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1985م.
- (24) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2010م.
- (25) سليمان الرومي، دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1428هـ.
- (26) سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت 275هـ)، سنن أبي داود، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ط، د. ت.
- (27) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، بالاشتراك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.
- (28) صلاح الدين نوار، (معاصر)، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، دار الدعوة، الإسكندرية، ط1، 1413هـ.
- (29) عبد الجليل حسن، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، وزارة الثقافة، عمان، 2009م.
- (30) عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشيزري، (ت 590هـ)، نهاية الرتبة الطريفة في طلب الحسبة الشريفة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، د. ط، د. ت.
- (31) علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ.
- (32) علي بن محمد بن الأثير، (ت 637هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997م.
- (33) عمر بن علي بن سمرة الجعدي، (ت 586هـ)، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، ط1، 1957م.
- (34) فايد حماد، (معاصر)، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، الناشر جروس للطباعة، طرابلس، 1995م.
- (35) لؤي البواعنة، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان، 2006م.
- (36) مبارك عشوي، الوقف والحياة الاجتماعية في مدينة دمشق خلال العصر الأيوبي، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 1438هـ.
- (37) محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، دار أراس للطباعة والنشر، أربيل، 2003م.
- (38) محمد إبراهيم الجيوثي، وسائل الدعوة، د. ط، 1994م.
- (39) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (ت 751هـ)، مفتاح دار السعادة، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1432هـ.

- (40) محمد بن أحمد بن أبي زيد الأخوة، (ت729هـ)، معالم القرية في طلب الحسبة، دارالفنون، كمبودج، د. ط، د. ت.
- (41) محمد بن أحمد بن جبير الكناني، رحلة ابن جبير (ت614هـ)، داربيروت، بيروت، ط1، د. ت.
- (42) محمّد بن سالم بن واصل الحموي، (ت697هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشّيال، دارالكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م.
- (43) محمد بن صالح العثيمين، (ت1421هـ) رسالة في الدعوة إلى الله، مدار الوطن، السعودية، د. ط، 1424هـ.
- (44) محمد بن عبد العزيز، (معاصر)، الوقف في الفكر الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د. ط، د. ت.
- (45) محمد بن محمد العماد الأصفهاني، (ت597هـ/1201م)، الفتح القسي في الفتح المقدسي، دار المنار، بيروت، ط1، 1425هـ.
- (46) محمد بن مكرم بن منظور المصري، (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت.
- (47) محمد عبده السروري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من 429 إلى 626 هجرية، وزارة الثقافة، صنعاء، 2004م.
- (48) مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.
- (49) موسى بن محمد اليونيني (ت726هـ)، ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، ط2، 1992م.
- (50) ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
- (51) يوسف قزغلي سبط ابن الجوزي، (ت654هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العلمية، دمشق، ط1، 2013م.

الهوامش:

- (1) عمر بن علي بن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، ط1، 1957م، ص67.
- (2) ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ، 1841/5، أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م، 110/6، محمد بن مكرم بن منظور المصري، لسان العرب، بيروت، 927/6.
- (3) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب قول مثل ما يقول المؤمن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل له الوسيلة، الحديث رقم (384)، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (4) محمد بن صالح العثيمين، رسالة في الدعوة إلى الله، مدار الوطن، السعودية، 1424هـ، ص11.

- (5) محمد إبراهيم الجبوشي، وسائل الدعوة، 1994م، ص 28.
- (6) ينظر: الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ، ص169، 170، ابن منظور، لسان العرب، 14/259.
- (7) أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 15/157، 158.
- (8) أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها وسائلها، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص10.
- (9) ينظر: أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، 4/340.
- (10) أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت2003م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، الكويت، عالم الكتب، الكويت، ط1، 1429هـ، 2/1507.
- (11) ينظر: إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، الإسكندرية، 2/604، بتصرف واختصار.
- (12) ينظر: إبراهيم مصطفى بالاشتراك، المعجم الوسيط، 2/604، أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2/1508.
- (13) دوين: بلدة من نواحي أَرَاَن في آخر حدود أذربيجان بقرب تفليس، منها ملوك الشام بنو أيوب، ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، 2/491.
- (14) ينظر: علي بن محمد بن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997م، 9/342.
- (15) ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، (ت2009م)، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2010م، 1/1025.
- (16) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب بَنَاءِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ والصلاة قبله في مريض الغنم، الحديث رقم (1109).
- (17) ينظر: مبارك عشوي، الوقف والحياة الاجتماعية في مدينة دمشق خلال العصر الأيوبي، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 1438هـ، ص119.
- (18) محمد بن أحمد بن جبير الكنايني، رحلة ابن جبير، دار بيروت، بيروت، ط1، ص16.
- (19) أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1423هـ، ص47.
- (20) ينظر: محمد بن سالم بن واصل الحموي، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م، 2/230.
- (21) سليمان الرومي، دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1428هـ، 2/482.

- (22) ينظر: محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، دار أراس للطباعة والنشر، أربيل، 2003م، ص101.
- (23) الرومي، دعوة المسلمين للنصارى، 477/2.
- (24) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، الحديث رقم (1478).
- (25) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، الحديث رقم: (3643)، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- (26) ينظر: محمد عبده السروري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من 429 إلى 626 هجرية، وزارة الثقافة، صنعاء، 2004م، ص735.
- (27) أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، 131/1.
- (28) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1418هـ، 181/2، 329/3.
- (29) ينظر: يوسف قرغلي سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العلمية، دمشق، ط1، 2013م 26/22.
- (30) أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م، 91/7.
- (31) ينظر: أبو شامة المقدسي، كتاب الروضتين، ج2، ص430.
- (32) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1432هـ، 191/1.
- (33) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، بلاشترك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، 122/4.
- (34) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 230/4.
- (35) موسى بن محمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، ط2، 1992م، 2/1.
- (36) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1967م، 551/1.
- (37) جمال الدين فالح الكيلاني، الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، ص28.
- (38) بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية في مناقب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1415هـ، ص164.

- (39) محمد بن محمد العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح المقدسي، دار المنار، بيروت، ط1، 1425هـ، ص344.
- (40) ينظر: لؤي البواعنة، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي، دار اليازوري العلمية للنشر عمّان، 2006م، ص174-180.
- (41) ينظر: صلاح الدين نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، دار الدعوة الإسكندرية، ط1، 1413هـ، ص21-23.
- (42) حطين قرية تقع بالقرب من بحيرة طبرية في فلسطين. ينظر حول معركة حطين: العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص50، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص126.
- (43) ينظر: العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص66، ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، 33/1.
- (44) فايد حماد، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، طرابلس، الناشر جروس، 1995م، ص8.
- (45) حامد غنيم أبو سعيد، الجبهة الإسلامية في مواجهة المخططات الصليبية، دار السلام، القاهرة، ط1، 1428هـ، ص395.
- (46) ينظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص53، 126، 127، 242، 252.
- (47) ينظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص323.
- (48) ينظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص54.
- (49) ينظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص141.
- (50) عبد الجليل حسن، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، وزارة الثقافة، عمّان، 2009م، ص49، بتصرف.
- (51) أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر، القاهرة، ص161.
- (52) أبو عمر عثمان بن صلاح الشهرزوري، طبقات الفقهاء الشافعية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 1992م، 570/2.
- (53) عبد الجليل حسن، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى، ص214.
- (54) ابن جبير الكناي، رحلة ابن جبير، ص23.
- (55) ينظر: أحمد فؤاد سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص93.
- (56) أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، ص395.
- (57) ينظر: أبو شامة المقدسي، كتاب الروضتين، 163/2، 463/4.
- (58) ينظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص86.

- (59) ينظر: أحمد فؤاد سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، ص59.
- (60) ابن جبير الكناني، رحلة ابن جبير، ص23.
- (61) ابن واصل، مفرج الكروب، 169/3، 106/4.
- (62) ينظر: ينظر المطلب الثالث من هذا البحث.
- (63) محمد بن أحمد بن أبي زيد الأخوة، معالم القرية في طلب الحسبة، دار الفنون، كمبردج، ص7.
- (64) ابن واصل، مفرج الكروب، 371/23.
- (65) السروري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن، ص567.
- (66) عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشيزري، نهاية الرتبة الظرفية في طلب الحسبة الشريفة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ص5.
- (67) الصغدني، الوافي بالوفيات، 163/20.
- (68) أحمد فؤاد سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، ص105.
- (69) ينظر: ابن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، 135/6، ابن منظور، لسان العرب، 359/9.
- (70) علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1403هـ، ص253.
- (71) ينظر: أحمد فؤاد سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، ص135.
- (72) ينظر: ابن جبير الكناني، رحلة ابن جبير، ص223.
- (73) المكس: انخفاض الثمن، المكوس: هي الضرائب التي كان يأخذها العشارون. ينظر: الخيل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1985م، 317/5.
- (74) ينظر: ابن جبير الكناني، رحلة ابن جبير، ص28.
- (75) ينظر: إبراهيم بن محمد بن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت، 49/2.
- (76) ينظر: أحمد فؤاد سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، ص134.
- (77) ينظر: تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، ص128.
- (78) ينظر: محمد بن عبد العزيز، الوقف في الفكر الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 57/2، بتصرف.
- (79) ابن جبير الكناني، رحلة ابن جبير، ص16.
- (80) ابن جبير الكناني، رحلة ابن جبير، ص223، 232.
- (81) ابن جبير الكناني، رحلة ابن جبير، ص25.

- (82) مبارك عشوي، الوقف والحياة الاجتماعية، ص109.
- (83) ابن جبير الكناني، رحلة ابن جبير، ص223.
- (84) ينظر: مبارك عشوي، الوقف والحياة الاجتماعية، ص160.
- (85) ينظر: أبو شامة المقدسي، كتاب الروضتين، 104/2.
- (86) ينظر: أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، 144/3.
- (87) ابن جبير الكناني، رحلة ابن جبير، ص15.
- (88) ينظر: المقرئ، المواعظ والاعتبار، 169/3.
- (89) صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الحديث رقم: (2586).
- (90) مبارك عشوي، الوقف والحياة الاجتماعية، ص156.
- (91) ينظر: أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 79/6.
- (92) ابن جبير الكناني، رحلة ابن جبير، ص26.